

## عقدة ثيودور هرتزل : بين العم توم ودون كيشوت

أ. ن. سعد

إن كاتبتي سيرة ثيودور هرتزل يتغافلون عن معالجة أو حتى ذكر بعض العناصر التي تشكلت منها نفسية مؤسس الصهيونية وساهمت ، وربما أدت بشكل حاسم ، إلى توصله إلى الصهيونية التي صاغ مخططا لها على طريقته الخاصة . فحرصهم على استنباط الصفات التي ارتأوا انها ايجابية في شخصية هرتزل ، مثل تمسكه بالقضية التي تبناها واندفاعه وراءها ، جعلتهم يتجاهلون الصفات الأخرى التي قد لا تكون ايجابية ولكنها ذات مغزى هام في تفهم العوامل النفسية التي حددت هوية شخصيته ومسارها إلى الصهيونية . وكما هي حال كل ما يتعلق بالمشكلة الصهيونية في فلسطين ، قد يبدو ضروريا الخوض في مناقشة هؤلاء الكتاب وجميعهم من الصهيونيين أو المؤيدين للصهيونية . ولكن اهتمامنا هنا لا يقع في مثل هذا المنهج المتبع تقليديا الذي جد ما ، بل يستقتصر معالجتنا على طرح وتحليل بعض الوقائع التي يمكن ايجادها بكثرة في كتابات هرتزل نفسه وخاصة في مذكراته الشخصية التي نشرت مؤخرا بكاملها في اربعة مجلدات كبيرة (١) ، والتي تحتوي على اشمل الدلالات والاشارات وادقها إلى نوعية تفكير هرتزل وبيان شخصيته . وسيجد القارئ في مجال هذه المقالة القصيرة ، أن استعملنا لكلمة « عقدة » في العنوان اعلاه ليس من باب الاحكام المسبقة والشائيم التي قد يرسلها كاتب متحيز ضد الحركة التي يقال أن ثيودور هرتزل تزعمها . وان بدأنا البعض يمتنع عن النظر في حكم التعقيد على مؤسس حركة اثبتت تاريخيا قدرتها على تحقيق أهدافها بوجه جميع الصعوبات ، فعلينا التأكيد والتذكير بأن الانطباع الجاني لا تحدد ، ولا ينبغي أن تحدد ، منظورنا لوقائع موضوعية تعود إلى فترة ما قبل ثلاثه ارباع قرن من الزمن ، خاصة وان لدينا المصادر الوثائقية المباشرة والمتمثلة في اقوال هرتزل نفسه في مذكراته والتي هي بحد ذاتها ووحدتها ، أدت بنا إلى الاستنتاج بأن توصل هرتزل إلى الصهيونية مثل آخرين من الصهيونيين ، كان تجسيدا وانعكاسا للتخطي النفسي .

### العم توم اليهودي

إن شخصية العم توم معروفة جدا في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة ، إلا انها قد لا تكون معروفة بهذا القدر لدى القارئ العربي . وعبارة العم توم رائجة جدا اليوم إذ تستعمل للإشارة إلى السود الذين يجهدون في تأييد النظام القائم والمؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة وتبرير ممارساتها . وتعود هذه الشخصية التي أصبحت شبه ميثولوجية وأسطورية الآن ، إلى رواية « كوخ العم توم » التي كتبها الروائية الأميركية البيضاء هاربيت بيتشستو ، في شكل اقصيص متسلسلة في إحدى المجلات الأميركية في عامي ١٨٥١ - ١٨٥٢ قبيل الحرب الأهلية التي أدى انتصار الشمال فيها إلى إلغاء العبودية وتحكي هذه الرواية قصة توم ، العبد الزنجي العميق الإيمان بالمسيحية الذي يتقانى في خدمة سيده الأبيض وفي الصلاة من أجله باستمرار إلى أن باعه سيده عندما